

الأسد والثور

بقلم: ا. عبد الحميد عبد القصور
بريشة: ا. عبد الشافي سيد
إشراف: ا. حمدي مصطفى



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
مطبعة وناشر في القاهرة
Tashreeh - Tashreeh - Tashreeh
www.tashreeh.com

عاش (بمنة) في صحبة الأسد ، فارتفعت منزلته عنده ، حتى صار
أنيسه وجليسه ، وصديقه ورفيقه ومستشاره في كل كبير وصغير ،
وكل جاد وخطير من الأمور ..

وذات يوم احتلى (بمنة) بالأسد ، فقال له :
- أراك أيها الملك قد فضلت الإقامة في مكان واحد ، ولا تريد
أن تفرحه ، فما هو السر في ذلك ؟

وقبل أن يجيب الأسد على سؤال (بمنة) خاز الثور (شيرة)
خواراً شديداً من مكانه في الفرج الأخضر القريب ، فارتفعت
مفاصل الأسد وخاف خوفاً شديداً (لأنه لم يكن قد سبق له رؤية
ذلك الثور ، أو سماع صوته) ..

لكنه تمالك نفسه ، حتى لا يظهر خوفه من ذلك الوحش الغريب
أمام (بمنة) فيكون عرضة لاحتقارهم ، واستصغار شأنه ..



لَكُنْ (دُبْنَةُ) كَانَ قَدْ لَاحَظَ بِفُطُنَتِهِ أَنَّ صَوْتِ الثَّوْرِ قَدْ أَفْرَغَ
الْأَسَدَ ، وَأَنَّهُ خَلَّ الرَّغْبَ فِي قَلْبِهِ .. فَاتَّقَتْ إِلَى الْأَسَدِ قَائِلَةً فِي أَذُنِ :
- هَلْ ظَنَنْتَ أَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتُ يُمْكِنُ أَنْ يُخِيفَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟

فَقَالَ الْأَسَدُ فِي خَجَلٍ :

- مَا ظَنَنْتُ أَنَّ صَوْتًا يُمْكِنُ أَنْ يُخِيفَ مِثْلَ ذَلِكَ الصَّوْتِ ..

فَقَالَ (دُبْنَةُ) فِي أَذُنِ :

- لَيْسَ خَلِيقًا بِمَلِكٍ مُهَابٍ مِثْلَكَ أَنْ يَتْرَكَ مَكَانَهُ ، وَيَرْحَلَ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ

صَوْتِ سَمِيعَةٍ .. وَقَدْ قَالَ الْحُكَمَاءُ :

لَيْسَ مِنْ كُلِّ الْأَصْوَاتِ تَجِبُ الْهَيْبَةُ وَالْخَوْفُ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- صَدَقْتَ يَا مُسْتَشَارِي النَّاصِحَ الْأَمِينِ ..



وقال (بمئة) :

- إن هذا الصوت الذي أخافنا لو سرنا إليه ، لوجدنا صاحبه أهون وأضعف مما صورة لنا صوته الجهر .. فقال الأسد :

- ربما .. لكنني لا أجد بي رغبة في الذهاب إليه ..

فقال (بمئة) :

- إن شئت أيها الملك بقيت في مكانك ، وأرسلتني حتى أتيك بكل شيء عن صاحب ذلك الصوت ..

فوافق الأسد على اقتراح (بمئة) وأطلق (بمئة) نحو ذلك المرج الأخضر ، الذي يقيم فيه الثور (شثربة) لاستطلاع الخبر ..



وَبَدَأَ الْأَسَدُ نَدْمًا شَدِيدًا عَلَى تَسْرُعِهِ فِي إِرْسَالِ (دِفْئَةٍ) إِلَى ذَلِكَ
الشَّخْصِ الْمَجْهُولِ ، صَاحِبِ الصَّوْتِ الْجَهِيرِ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
- لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي إِرْسَالِ (دِفْئَةٍ) وَحْدَهُ .. لَقَدْ كَانَ شَخْصًا
وَضِيقًا حَتَّى وَقْتُ قَرِيبٍ ، وَهُوَ زَاهِيَةٌ أَرِيبٌ .. مَنْ أَذْرَانِي أَنْ يَكُونَ
صَاحِبَ الصَّوْتِ الْجَهِيرِ عَدُوًّا لِي ، وَأَنَّهُ لَا يَسْلَمُنِي إِلَيْهِ ؟ مَنْ
أَذْرَانِي أَنَّهُ لَا يَتَحَالَفُ مَعَ عَدُوِّي ضِدِّي ؟ لَقَدْ أَخْطَأْتُ ، وَيَجِبُ أَنْ
أُسْرِعَ بِإِصْلَاحِ خَطْئِي ، قَبْلَ أَنْ يَخْذُلَ مَا لَا تُحْفَدُ عُقَابًا ..
وَاسْتَعَدَّ الْأَسَدُ لِمُغَابَرَةِ مَنْزِلِهِ ، حَتَّى يَلْحَقَ بِـ (دِفْئَةٍ) لَكِنْ
(دِفْئَةُ) رَجَعَ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَقَالَ لَهُ :

- مَاذَا رَأَيْتَ هُنَاكَ ؟

فَقَالَ (دِفْئَةُ) :

- رَأَيْتُ ثُورًا هُوَ صَاحِبُ الصَّوْتِ الْجَهِيرِ ، الَّذِي سَمِعْتَهُ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- صِفْهُ لِي ، وَصِفْ لِي مَدَى قُوَّتِهِ ..



فَأَخَذَ (دِمْنَةً) يَصِفُ لَهُ الثَّوْرَ وَصِفًا دَقِيقًا ، ثُمَّ خَتَمَ كَلَامَهُ قَائِلًا :

- وَلَقَدْ اقْتَرَبْتُ مِنْهُ وَحَاوَرْتُهُ ، فَلَمْ أَجِدْ لَهُ قُوَّةَ تَنْفَاسٍ مَعَ صَوْتِهِ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ مُسْتَنْكِرًا :

- لَا يَغُرُّكَ ذَلِكَ مِنْهُ ، طَالَمَا أَنَّكَ لَمْ تَحْتَفِرْ قُوَّتَهُ .

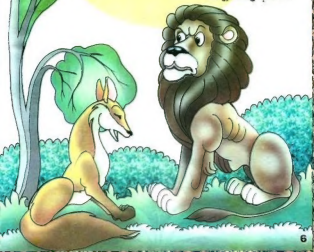
وَقَالَ (دِمْنَةً) :

- لَا تَهَابِنِ مِنْهُ شَيْئًا أَيُّهَا الْمَلِكُ .. أَنَا أَتَيْكَ بِهِ إِلَى هُنَا

لِيَكُونَ لَكَ غَدَاً مُطِيعًا ، وَخَادِمًا سَمِيعًا ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- الْهَبْ وَأَخْضِرْهُ ..



انطلق (بمئة) إلى الثور (شيرة) وقال له :

- لقد أرسلني الأسد إليك لأدعوك للذهاب إليه .. وقد أمرني أن
أؤمّنك على نفسك ، إذا عجلت بالذهاب إليه ، أما إذا تأخرت عن
الذهاب إليه ، فسوف أغود إليه وأخبره بذلك ، ووقتها لا تلومن
إلا نفسك ..

فقال (شيرة) متعجبًا :

- ومن يكون ذلك الأسد ، الذي أرسلك إلي ؟

فقال (بمئة) :

- هو ملك الوحوش والسباع ، ولديه جند خطيرون وأغوان
كثيرون ..



فَشَغَرَ الثَّوْرُ (شَتْرِبَةً) بِالْخَوْفِ يَسْرِي فِي أَوْصَالِهِ وَقَالَ لَهُ :
 - إِذَا أَنْتَ أَغْطَيْتَ لِي الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِي زَهَبْتُ مِنْكَ ..
 فَأَعْطَاهُ (بِمَنْةً) الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ (شَتْرِبَةً) الْغُھُودَ
 وَالْمَوَاتِيْقَ عَلَى ذَلِكَ .. ثُمَّ انْطَلَقَ مَعَهُ إِلَى الْأَسَدِ ..
 فَأَحْسَنَ الْأَسَدُ إِلَى الثَّوْرِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ أَحْسَنَ اسْتِقْبَالٍ ..
 ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ، وَمَا الَّذِي أَتَى بِهِ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ..
 فَقَصَّ عَلَيْهِ (شَتْرِبَةً) قِصَّتَهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ ..
 فَأَعْجَبَ الْأَسَدُ بِشَجَاعَتِهِ وَقُرْبَةِ إِلَيْهِ .. ثُمَّ قَالَ لَهُ :
 - اصْحَبْنِي وَسَوْفَ أَكْرَمَكَ وَتَجِدُ عِنْدِي مَا يَسُرُّكَ ..
 فَشَكَرَهُ الثَّوْرُ ، وَأَقَامَ بِجَوَارِهِ مُلَازِمًا لَهُ فَأَكْرَمَهُ الْأَسَدُ
 وَانْتَمَنَ عَلَى أَسْرَارِهِ ، وَجَعَلَهُ مُسْتَشَارَهُ الْخَاصَّ ،
 حَتَّى صَارَ أَقْرَبَ اصْحَابِهِ ، وَأَعْلَاهُمْ مَنْرَلَةً عِنْدَهُ ..



ولما رأى (بمنته) أنَّ الأسد قد تمَّ الثَّورَ عليه ، وعلى جميع أصحابه ، واختصَّه برأيه ومشُورته وأسراره ، غاظته ذلك غيظًا شديدًا ، وحسده حسدًا عظيمًا ، فذهب إلى أخيه (كليلاً) وشكا إليه قائلاً :

- هل رأيت يا أخي ما حدث ؟ لقد أرذت نفع الأسد وأعقلت نفع نفسي .. لقد جلبت له ثورًا استأثر بكل شيء ، واحتل منزلي ، فأصبح مستشاره وكاتم أسراره .. فقال (كليلاً) :

- وعلى أي شيء عرَّضت يا أخي ؟



فَقَالَ (بِمَثَلَةٍ) :

- كُلُّ مَا أَرْجُوهُ هُوَ أَنْ أَحْتَالَ لِأَكْلِ الْغُسْبِ هَذَا ، حَتَّى أَفَرِّقَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْأَسَدِ ، حَتَّى تَعُودَ إِلَيَّ مَنَزَلَتِي الرَّفِيعَةُ ، وَأَعُودَ إِلَى سَابِقِ
عَهْدِي عِبْدَهُ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَفَرِّقَ بَيْنَ الثَّوْرِ وَالْحَيَاةِ يَكُونُ
أَفْضَلُ لِي وَلِلْأَسَدِ ، حَتَّى لَا يَتَّفِقُوا أَحَدٌ بِمُصَاحَبَتِهِ وَمُتَابَعَتِهِ
غَيْرِي ..

فَقَالَ (كَلِيلَةُ) مُتَعَجِّبًا :

- وَكَيْفَ تَقْدِرُ عَلَى الثَّوْرِ ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ قُوَّةً ، وَأَشَدُّ
أَعْوَانًا ، وَأَكْثَرُ جُنْدًا ، وَأَهْمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ

بِحِمَايَةِ الْأَسَدِ ١٩

فَقَالَ (بِمَثَلَةٍ) :

- رَبِّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ بَلَغَ بِحِيلَتِهِ وَذَهَابَهُ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ كَثِيرٌ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَسَوْفَ تَرَى مَا أَنَا فَاعِلٌ بِعَدُوِّي ..



وتغيب (دمثة) عدة أيام .. ثم انتهر فرصة غياب النور ودخل
على الأسد في مجلسه وانفرد به وحده ، فسأله الأسد قائلاً :
- لماذا تغيبت عن مجلسي كل هذه الأيام .. لعل المنافع أن يكون
خيرًا ..

فقطب (دمثة) جبينه ورسم على ملامحه الحزن .. ثم قال :
- ليس خيرًا أيها الملك ، وإنما هو شرٌ خطيرٌ يرادُ بك ..
ففرغ الأسد وقال :
- ماذا حدث يا دمثة ؟ تكلم ..
فقال (دمثة) في دهاء :



- حَدَّثَنِي صَدِيقِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ عَبْدِي ، أَنَّ الثَّوْرَ (شَيْثْرِيَّة) قَدْ
اجْتَمَعَ بِقَادَةِ جَنْدِكَ سِرًّا ، وَرَاحَ يَصِفُكَ بِالضَّعِيفِ وَالْعَجِزِّ ، وَأَنَّهُ
عَازِمٌ عَلَى قِتَالِكَ وَقَتْلِكَ ، وَالْإِنْفِرَادِ بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِكَ .. وَأَنَا اعْتَقِدُ
أَنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حِينَ قَرَّبْتَهُ مِنْكَ وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى أَسْرَارِكَ
وَمَنَاطِقِ ضَعْفِكَ ، وَلِذَا طَمَعَ فِي إِزَاحَتِكَ وَالْإِنْفِرَادِ بِالْمَلِكِ مِنْ
بَعْدِكَ ، وَسِعَةَ قَادَةِ جَنْدِكَ ..

فَاعْتَمَدَ الْأَسَدُ غَمًّا شَدِيدًا ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ الْخَوْفُ
مِنَ الثَّوْرِ وَقَادَةِ الْجَنْدِ ، وَآخَذَ (دُمْنَةً) يُخَوِّفُهُ مِنَ الثَّوْرِ
وَيُحَرِّضُهُ ضِدَّهُ ..

فَقَالَ الْأَسَدُ :

- وَبِمَاذَا تُشِيرُ عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاصِحُ الصَّدُوقُ ؟!



فقال (دُمْنَةُ) :

- يجبُ أَنْ تَسْتَعِدَّ لِلِقَاءِ غَدُوكَ ، فَإِنْ (شِبْرَبَةُ) قَدْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ
فِي آيَةٍ لِحَظَةٍ وَأَنْتَ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لَهُ ، فَيَحْدُثُ مَا لَا تُحَمَدُ عَقِبَاهُ ..

فقال الأسد :

- وَمَنْ أَذْرَانِي أَنَّهُ حَقًّا يَرِيدُ بِي شَرًّا ، كَمَا تَزْعُمُ !!

فقال (دُمْنَةُ) :

إِنْ غَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنْ تَرَى لَوْنَهُ مُتَغَيِّرًا ، وَتَرَى أَوْصَالَهُ
تُرْتَعِدُ ، وَتَرَاهُ يَهْرُ قُرْنَيْهِ وَيَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ مِنَ الْغَضَبِ ..
فَاتَّقِنِ الْآسَدُ أَنْ (دُمْنَةُ) لَمْ يَخْذَعُهُ ، وَبَدَأَ يَسْتَعِدُّ لِلِقَاءِ
النَّوْرِ ..



وَانْطَلَقَ (بِمَنَّةٍ) لِلِقَاءِ (شَيْثْرَةِ) فَلَمَّا رَأَاهُ رَحَّبَ بِهِ وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ انْطِغَايِهِ عَنْهُ طَوَالَ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، فَقَالَ لَهُ :

- مَا مَنَعَنِي عَنْكَ إِلَّا شَرُّ يَرِيدُهُ الْأَسَدُ بِكَ ، وَقَدْ كُنْتُ أَحَاوِلُ قَدْرَ جَهْدِي نَفْعَ هَذَا الشَّرِّ عَنْكَ ، فَلَمَّا لَمْ أَفْلَحْ أَتَيْتُ لَأَحْذَرُكَ ، حَتَّى تَكُونَ مُسْتَعِدًّا لِلِقَاءِ عَدُوِّكَ ..

فَوَقَعَ الْخَوْفُ فِي نَفْسِ (شَيْثْرَةِ) وَقَالَ :

- الْأَسَدُ يَرِيدُ قَتْلِي ؟!

فَقَالَ (بِمَنَّةٌ) فِي حَزْنٍ مُصْطَنِعٍ :

- لَقَدْ عَزَمَ عَلَيَّ أَنْ يَتَغَذَّى بِكَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكَ عَهْدًا بِالْأَمَانِ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَوْلَا هَذَا الْعَهْدُ مَا جِئْتُكَ ، حَتَّى تَأْخُذَ حَبْرَكَ وَأَخْلُو مِنْ ذَنْبِكَ ..



وَقَالَ (دُمْنَةُ) يُوعِزُ صَدْرُ الثَّوْرِ وَيُحَرِّضُهُ عَلَى الْأَسَدِ ، حَتَّى وَقَعَ
الْخَوْفُ وَالْغَضَبُ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْأَسَدِ ، وَهُوَ الَّذِي ظَنَّ أَنَّ الْأَسَدَ
صَدِيقُهُ الصَّدُوقُ ، فَكَيْفَ يَغْدِرُ بِهِ ، وَيَنْصِبُ لَهُ الْمَصَائِدَ وَالْمَكَايِدَ ؛
حَتَّى يَغْتَالَهُ ، وَيَتَغَدَّى عَلَيْهِ ؟

فَقَالَ (شَيْثْرَةُ) :

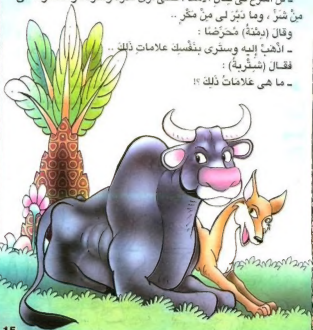
- لَنْ أَشْرَعَ فِي قِتَالِ الْأَسَدِ ، حَتَّى أَرَى غَرَّةً وَمَكْرَةً ، وَمَا انْتَوَاهُ لِي
مِنْ شَرٍّ ، وَمَا نَبَزَ لِي مِنْ مَكْرٍ ..

وَقَالَ (دُمْنَةُ) مُحَرِّضًا :

- اذْهَبْ إِلَيْهِ وَسَتَرَى بِنَفْسِكَ عِلَامَاتِ ذَلِكَ ..

فَقَالَ (شَيْثْرَةُ) :

- مَا هِيَ عِلَامَاتُ ذَلِكَ ؟



فَقَالَ (دِمْنَةُ) :

- سَتَرَى الْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ جَالِسًا عَلَى ذَيْلِهِ ، رَافِعًا صَدْرَهُ ،
مُرْهَبًا أذُنَيْهِ لِلسَّمْعِ ، مَاذَا يَصْرَهُ الْحَادُّ نَحْوَكِ وَقَدْ مَلَأَهُ الْغَضَبُ
مَيْكَ ..

وَهَكَذَا نَصَبَ (دِمْنَةُ) شِيَاكَ مَكْرَهُ وَنَهَائِهِ حَوْلَ الصَّيْفَيْنِ الْخَمِيفَيْنِ
الْمُتَحَابَّيْنِ ، فَأَوْقَعَ بَيْنَهُمَا الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَالْقَطِيعَةَ وَالشُّحْنَاءَ ..
فَلَمَّا دَخَلَ الثَّوْرُ عَلَى الْأَسَدِ ، تَحَقَّقَ كُلُّ مَبْنَاهُمَا مِنَ الْعَلَامَاتِ
الَّتِي ذَكَرَهَا (دِمْنَةُ) فَوَثَبَ كُلُّ مَبْنَاهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، مُحَاوِلًا قَتْلَهُ ،
وَقَلَّا يَتَقَاتِلَانِ قِتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ ، فَأَصِيبَ كُلُّ مَبْنَاهُمَا بِجُرُوحٍ
خَطِيرَةٍ .. وَفِي النِّهَايَةِ وَثَبَ الْأَسَدُ عَلَى الثَّوْرِ وَثَبَةً قَوِيَّةً فَقَتَلَهُ ..
وَجَلَسَ الْأَسَدُ يَبْكِي حَزِينًا عَلَى فَقْدِ أَغْرَ أَصْدِقَائِهِ ، وَأَخْلَصَ
أَعْوَانِهِ وَمُسْتَشَارِيهِ ..

تَمَّتْ

الْكِتَابُ الْقَادِمُ :

دِمْنَةُ مُجْرِمًا

www.KitaboSunnat.com

الطبعة الأولى : ١٤٢٨ - ١٤٢٩ هـ

